المحاضرة الثالثة

تابع لنشأة وتطور الرأي العام:

❖ **الرأي العام في العصر الحديث:**

في العصر الحديث يعتبر ميكيافيلي أول من وجّه الأنظار إلى ضرورة الاهتمام بصوت الشعب واتجاهاته وكثيرا ما كان يردّد العبارة القائلة بأنّ صوت الشعب من صوت الله وقد عبّر الشاعر الإنجليزي شكسبير بلسان هنري الرابع عن الرأي الذي ساعد في الوصول إلى الحكم، وقد ساعدت الحروب والمنازعات في إنجلترا وأمريكا وفرنسا حول المسائل السياسية والدينية على تداول معاني الرأي السائد ولم يستخدم تعبير الرأي العام إلا إبّان الثورة الفرنسية وكان يتكرّر كثيرا بين فلاسفة العصر ورجال السياسة والأدب وفي الحقيقة كان مفهوم الرأي العام ثمرة لمراحل طويلة من الكفاح المرير من أجل الحرية.

ولاشك أن الحروب والمنازعات التي قامت في انجلترا بين الملك والبرلمان قد ساعدت كثيرا على التطرّق لمعاني الرأي السائد، وقد عبّر "وليم تميل" فيما نشره سنة 1672 عن طبيعة الحكومة ومصدرها أن مصدره إنما يرجع إلى الرأي السائد إلى الحكومة والخير والشجاعة التي يتّصف بها الحاكم، أمّا الفيلسوف الإنجليزي جون لوك فقد اهتم بدراسة الأسس القانونية والأخلاقية للرأي العام وخاصة في مقاله الذي نشره عام 1690 بعنوان الفهم الإنساني، وانتقلت أفكار الحرية والثورة على الطغيان من انجلترا حيث التوتّرات الأهلية في القرن السابع عشر، التي كلفت البلاد رأس الملك شارل الأول سنة 1649م، وعرش الملك جيمس الثاني 1688م إلى أمريكا حيث اندلعت حروب الاستقلال، ثم فرنسا حيث شبت الثورة الفرنسية التي أطاحت بالإقطاع ورأس الملك لويس السادس عشر، وقد عبر الفلاسفة الفرنسيون عن مفهوم الرأي العام بمسميات مختلفة فاختار مونتسكيون "إصلاح العقل العام" أما روسو ففضل اصطلاح آخر هو "الإرادة العامة" وكانت العبارات الألمانية مطابقة لهذه المصطلحات الفرنسية كما يبدو من لفظ volks geest .

وشهدت نهاية القرن التاسع عشر كتابات **جوستاف لويون** العالم الاجتماعي الذي كان أحد الأوائل الذين أدركوا فكرة **الجمهور والتكتل الشعبي**، وتأثيرها في العمل السياسي، وأصبح للرأي العام دور كبير في صياغة الأحداث وفي توجيهها وبات أصحاب القرار السياسي يضعونه في حساباتهم سواء صرّحوا بذلك أم لم يصرّحوا به، أمّا القرن العشرين فجاء بمزيد من الانتصارات بظهور الراديو والتلفزيون والسينما،

ممّا جعل وصف هذا القرن بقرن الرأي العام، وكان للحرب العالمية الأولى التي شهدها هذا القرن أثر هام لدعم الرأي العام.

ومنذ بداية الثلاثينات بدأ ما يسمى بأبحاث قياس الرأي العام حيث تقوم هذه الأبحاث بقياس المواقف وردود الأفعال على القضايا والموضوعات التي تشهدها الحياة السياسية والاجتماعية، إن الأحداث الضخمة التي شهدها القرن العشرين والتي هزت الوجدان العالمي بأسره بدءاً من الحرب العالمية الأولى (1929–1932) والحرب العالمية الثانية، قد أثّرت بهذا الشكل أو ذاك بالرأي العام وبدوره في الحياة السياسية الوطنية والدولية، وأصبح للرأي العام دور كبير في صياغة الأحداث وفي توجيهها وبات أصحاب القرار السياسي يضعونه في حساباتهم سواء صرّحوا بذلك أم لم يصرحوا به.

ونتيجة لثورة المعلومات والاتصالات والتقدّم التكنولوجي في هذا العصر الحديث، أدّى ذلك للاهتمام بقضية الرأي العام التي كانت ثمرة مباشرة لقضيتين أساسيتين أولها المبادئ الانسانية والشعبية التي فرضت نفسها من خلال الثورات الاجتماعية والسياسية الكبرى، وثانيها إيمان الحكّام بضرورة كسب الرأي العام طوعا بالاستجابة له أو التأثير فيه عن طريق الدعاية والإعلام ليستجيب لهم، ففي بداية العصر الحديث أبدى العديد من الفلاسفة والعلماء اهتماما بالرأي العام مع اختلاف المصطلحات المستخدمة منهم، فكان اهتمام ميكيافيلي اهتماما ضمنيا بما يسمى بصوت الشعب وكان مونتسكيو قد استخدم مصطلح العقل العام الذي قابله عند روسو مصطلح الإرادة العامة، ولكن مع ما شهده هذا العصر الحديث من تطور وتقدّم في وسائل المواصلات والاتصالات التي كان لها الفضل في تجانس المجتمعات الكبرى فكرا وفهما وتمكين الشعوب من التفاعل مع بعضها البعض وتحويل العالم إلى قرية صغيرة وظهور مصطلحات جديدة كالعولمة والكونية فقد بقي أهم شيء ممّا سبق كله ألا وهو نضال الشعوب من أجل حقها في تقرير مصيرها بالإضافة لانتشار التعليم والثقافة وظهور مبادئ حقوق الانسان التي كان للرأي العام دورا كبيرا فيها.

حيث ظهرت الدراسات النفسية التي تعنى بدراسة السلوك، قادت إلى اكتشاف أنّ السلوك ما هو إلا صور أو مقدّمات لعمل ما، أطلق عليها مفاهيم مختلفة، مثل المواقف أو الاتجاهات وهذا المفهوم ليس في جوهره إلا الرأي العام، أو القاعدة التي يقوم عليها الرأي العام الذي أصبح قوة كبيرة في مجتمعنا الدولي الحديث وذلك نتيجة للأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية الراهنة لهذا المجتمع، فهو قوة

مؤثّرة في حياة الناس اليومية، وهو الذي يضع القوانين ويلغيها كما أنّه يرعى التقاليد الاجتماعية والمبادئ الأخلاقية أو يتنكّر لها، وكذلك يقوي الروح المعنوية أو يحبطها.

وفي هذا العصر الحديث اتسعت جماعة الرأي العام كمًّا وكيفا وتطوّرت وسائل الاتصال حتى تتماشى مع زيادة عدد الأفراد ومشاركة الفرد العادي من بيته أو عمله في الرأي العام والتقائه بغيره من الأفراد، فأصبح الفرد يتمتّع بالمواطنة بعيد عن الفروق العنصرية من طبقة أو دين أو عقيدة أو غيرها ممّا كان سائدًا في المجتمعات القديمة وهذا أدّى بدوره إلى زيادة تأثير الرأي العام فأصبح محل اهتمام الساسة ورجال الحكم في كل أرجاء العالم.

المراجع المُعتمدة في المحاضرة:

1- سمير حسن منصور، العلاقات العامة من منظور الخدمة الاجتماعية، د.ط، مطبعة البحيرة، د.م.ن، د.س.ن.

2- مبارك زودة، **دور الإعلام الاجتماعي في صناعة الرأي: "العام الثورة التونسية أنموذجا"**، رسالة ماجستير غير منشورة، علوم الإعلام والاتصال، جامعة الحاج لخضر -باتنة-.

3- عبير فتحي الشربيني، **الرأي العام: "إشكاليات القياس ونظريات التكوين"**، د. ط، دار النهضة العربية، القاهرة، 2014.

4- أسماء الجيوشي، **الرأي العام ووسائل الإعلام**، ط1، دار الكتاب الجامعي، العين، 2017.